



الأغا خان رئيساً للمؤتمر الإسلامي في الهند

السيد رشيد رضا^(١)

المؤتمر

المؤتمر الإسلامي في الهند

انتخب المسلمون في هذه السنة رئيساً لمؤتمرهم السيد أغا خان وهو شاب من الكبراء الذين يقرن بإسمهم لقب «السمو»، وقد اشتهر بالذكاء والنبيل والعلم والفضل، ولهذه المزايا اختارته طائفة الإسماعيلية رئيساً لها وهي الطائفة الباطنية المعروفة بالتروي في اختيار الرؤساء ولذلك كان أمرها منتظماً في كل البلاد إلى اليوم. ولا توجد طائفة تنتمي إلى الإسلام في هذا العصر أشد من هذه الطائفة تعاوناً وتحاباً والتزاماً ونظاماً. والفائدة الكبرى التي استفدتها من خبر مؤتمر هذه السنة هي انتخاب هذا الأمير رئيساً للمؤتمر الذي معظم رجاله من أهل السنة بل هذا هو الدليل القاطع عندي على أن إخواننا مسلمي الهند قد ارتقوا عنا وعن سائر المسلمين الذين نعرف أخبارهم، ذلك أن أدوا أدواء المسلمين التفرق في الطوائف وعدم معرفة قيمة النابغين لاسيما إذا خالفوا الجماهير في بعض تقاليدهم - وهذه الخلقة لازمة للنابغين لاتفارقهم- ذلك بأن مبدأ النهوض في كل أمة منحطة هو ظهور أفراد فيها كبار العقول أقوياء القلوب يوجهون عزائمهم إلى الخدمة القومية. فإذا ظهروا في أمة مستعدة للنهوض تشعر الأمة بفضلهم وتقدرهم حق قدرهم وتعطيهم مكانة الهامة من الجسد فيدبرونها ويعرجون بها إلى ما هي مستعدة له من الإرتقاء. وإذا ظهروا قبل استعداد الأمة للاستفادة من مواهبهم ترى الجماهير من خواص قومهم يمتقونهم وينفرون العامة منهم ويتوكلون على ما لا يخلو نابغ عنه من المخالفة للجماهير في تقاليدهم وعاداتهم. وأعني بالخواص الرؤساء والأغنياء الذين يعبر عنهم القرآن بالمترفين وهم الذين كانوا أعداء الأنبياء والمرسلين. وكانوا أعداء الإصلاح والمصلحين.

أما قولنا أن النابغين الذين يتوجهون إلى إصلاح الأمم لابد أن يخالفوا قومهم في بعض عاداتهم واعتقادهم فليس معناه أن يتحرون المخالفة طلباً للشهرة أو الامتياز وإنما ذلك أمر طبيعي لازم. وبيانه أن الفساد إنما يضرب بجرائه في الأمة ويفتك بها لفساد يطرأ على العقول فتأخذ بالاعتقادات الباطلة وفساد يلم بالنفوس فتستبدل الأخلاق الذميمة بالأخلاق الفاضلة. وتتولد من الفسادين

(١) المنار السنة الخامسة (١٩٠٢-١٩٣٠هـ) ص ٨٣٤-٨٣٧. العنوان الأصلي «المؤتمر الإسلامي في الهند، وهي كلمة إنصاف بحق الأغا خان الإمام الإسماعيلي.

العادات الضارة ويفتك كل ذلك بالأمة فتكا. فالنابغ الذي يتصدى للإصلاح يعرف بما ميزه الله به من نفوذ البصيرة منشأ الفساد في الأعمال. وينفر بما خصه به من كرامة النفس وزكائها عن كل ما يعتقده فاسداً ويرى أثره ضاراً. فهو بهذا وذلك يكون مخالفاً للأمة في بعض اعتقاداتها وعاداتها حتماً بغير تكلف ولا تصنع بل يوجد من محبي الإصلاح من يتكلف إخفاء المخالفة وإظهار الموافقة في بعض الأمور لأجل أن يقبل منه غيرها ليس هذا موضع الإطالة في أخلاق المصلحين مع أقوالهم ولكني أقول أن أكثر الحجب بين المصلح وبين قومه هو أن ينبز بأنه مخالف لهم في بعض الأمور الدينية أو مقصر فيها فإذا وصلت الطبقة المتوسطة في قوم إلى أن يعرفوا درجة المستعد للإصلاح وأن لا يصددهم عن الانتفاع به كونه مخالفاً لهم في بعض المسائل الدينية أو غيرها لأنهم يعرفون كيف ينتفعون وبهم ينتفعون وهم واثقون بأنفسهم لا يخافون من شذوذ رئيسهم في بعض المسائل أن يتعدى إليهم ومنهم إلى الأمة بأسرها فأولئك هم القوم الذين أذن الله بترقيتهم ونجاحهم.

خطب رئيس المؤتمر وذكر أمراض المسلمين التي هبطت بهم إلى الدرك الذي هم فيه بين الأمم فذكر أن جراثيم هذه الأمراض أربع «١» عقيدة الجبر التي حلت العزائم وألصق تبعاتها بالإمام أبي الحسن الأشعري (رحمه الله تعالى) و«٢» اعتقاد أن ترك الشؤون العامة والاشتغال عنها بالعزلة والعبادة من مهمات الدين وزعم أن منشأ ذلك اعتزال بعض الصحابة «عليهم الرضوان» أثناء الحرب بين علي ومعاوية وقولهم أن هذا أسلم للدين. و«٣» إهمال تعاليم النساء وتربيتهم لما حال دون ذلك من التشدد في الحجاب والخروج به عما جاء به الشرع وأثبت أن هذه المعضلة الاجتماعية قد سرت عداوها من مترفي الفرس إلى بني العباس وبسببهم رسخت في الأمة الإسلامية وكان من أثرها حبس نصف المسلمين في السجن الأبدي والقضاء عليه بالجهل والخمول. ويرى القارئ في كل مسألة من هذه الثلاث نزعة يصح أن تكون تولدت في دماغه من التمكن في مذهبه الذي أصله الغلو في التشيع إلى ادعاء الحلول في بعض أئمة آل البيت ورمي عظماء المسلمين من الصحابة فمن بعدهم بالإضرار بالدين ولو عن غير عمد. لو قام مثل هذا الخطيب الذي يفتر به مسلمو الهند اليوم وخطب خطبته هذه في مصر لستموه، أو في الشام لضربوه، أو في تونس لنفوهه وأبعدوه، أو في الجزائر أو مراكش لقتلوه. فلنا أن نقول أنه لم يرتقي في البلاد الإسلامية إلا مسلمو الهند الذين أثنوا على هذا الخطيب ووقروه، لأن له مزايا ينتفع بها في العمل الملي الذي تيمموه، فإذا اعتقد أهل السنة منهم خطأ في تحليل جعل اعتزال الأعمال العامة من الدين بأنه الاقتداء بفناء الصحابة وأخطأ بإسناد عقيدة الجبر إلى الإمام الأشعري فهم يعذرونه بأنه قال ما يعتقد بإخلاص ولا يمكن أن تظهر الحقائق في قوم لا حرية عندهم للعالم بإظهار اعتقاده. ومن الغريب أن ترى البلاد التي يدعي أهلها اتباع السنة قد اعتصم علماءها بحبوة التقية التي يعيبون بها إخوانهم الشيعة ويحتجون عليهم بأن من يقول بالتقية لا يوثق بعلمه ولا بدينه إذ يجوز أن يكون كل ما يظهره مخالفاً لما يعتقده عملاً بالتقية. ومن تراهم يتقون؟ يتقون العوام الجاهلين المقلدين لهم. أليس من أعجب العجائب أن العالم يتبع الجاهل فيؤول له تضاليدته وخرافاته ليكون راضياً عنه ويبقى معظماً ومكرماً له؟

قد علم أن المرض الأول من الأمراض التي ذكرها يتعلق بالاعتقاد والمرض الثاني يتعلق بالأخلاق والأعمال والمرض الثالث يتعلق بالعادات والعمال (ولذلك رتبناها هذا الترتيب المخالف لترتيب الخطيب) أما المرض الرابع فهو خاص بالسياسة وهو احتكار الخلافة والإمارة في بيت مخصوص يتوارثها أفرادهم. وقد صب إثم هذه الجريمة على بني العباس الذين مزقوا شمل الأمويين ثم العلويين، وكادوا يفتنونهم أجمعين. والقارئ يرى في هذا من الظن ما يرى فيما سبقه. ولكن مجموع الخطبة يبرأ الخطيب من سوء القصد في كلامه كله فقد أثنى على عمرو بن العاص الذي كان عضد معاوية وساعده ويده التي تناول بها الخلافة وساد على العلويين من أول الأمر - نعم إنه لم يثن عليه بهذا العمل ولكنه أثنى عليه بالسياسة الحكيمة التي لا يغمس حقه فيها بصير وإن كان مثلي من صميم العلويين. بله ثناؤه على الخليفة الثاني وعلى الصحابة كلهم في الجملة. وحاصل القول أن الخطيب أحسن في كلامه وأبان به عن عقل وبصيرة واستعداد لرياسة المؤتمر وإن كان في بعض القول مجال لمن لا شغل لهم إلا القيل والقال، وهم بمعزل عن الأعمال.

أما نتيجة المؤتمر التي وجه عنايته إليها فهي إنشاء مدرسة كلية جامعة كمدرسة اكسفورد الانجليزية أو جعل مدرسة عليكة كذلك. وقد قدر الرئيس في خطبته نفقة إيجاد هذه المدرسة بعشر ملايين روبية (٦٦٦،٦٦٦ جنيه انجليزي وكسور) وما أجل قول الخطيب: ألا تشترون يا قوم مجد الإسلام بعشر ملايين روبية؟ أهذا الثمن كثير؟ ومن بعد فكره وصائب رأيه أنه ذكر في هذا المقام صلة مسلمي الهند بالعثمانيين والإيرانيين والأفغانين، وأشار بوجوب جعل المدرسة الكلية كعبة العلم لجميع المسلمين، كأنه لم تخطر في باله نزغات شيطان «الوطنية الحققة» التي يدعو إليها بعض الأحداث في مصر وهي قطع صلات الأمة الإسلامية ومجافات بعض شعوبها لبعض حتى الذين تجمعهم لغة واحدة وينتسبون إلى دولة واحدة!!!

هذا الرأي الحميد رأي توقف نجاح الأمة على المدارس الكلية الجامعة قد نوهنا به من قبل وطالبنا به عقلاء المصريين وأصحاب التأثير فيهم قولاً وكتابة. وإذا يسر الله تعالى ووفق المسلمين إلى إنشاء كليتين واحدة في الهند وأخرى في مصر فذلك منتهى السعي في إحياء المسلمين وإعادة مجدهم ولا توجد بلاد إسلامية غنية والتعليم الأهلي فيها إلا البلاد الهندية والبلاد المصرية ولا يتم هذا العمل في مصر إلا بسعي مثل العمل الذي في الهند وهو أن يتألف مؤتمر ويكون جميع أفراد دعاة إلى هذا العمل وساعين في جميع المال له من كل مكان. نعم يظهر أن أهل مسلمي مصر أقل استعداداً من مسلمي الهند بالنسبة إلى المجموع ولكن في مصر رجالاً ربما لا يوجد خير منهم في بلاد إسلامية أخرى ولهم أن يجعلوا كليتهم في أول الأمر صغيراً ثم يوسعون دائرتها بالتدريج. وقد سمعت أكبر مرجو فيهم لمثل هذا السعي يقول أنه يمكن الاقدام على هذا العمل إذا تيسر جمع مئة ألف جنيه فقط. ولو اعتبر أغنياء مصر بالسير كاسل الانجليزي الذي بذل من ماله أربعين ألف جنيه لأجل دراسة مرض الرمد في مصر ليتيسر لهم بذل ما ينشئ مدرسة كلية تكون حياة قومهم وأمتهم. ومنشأ عزهم وسعادتهم.



ضريح الأغاخان في أسوان «مصر»